الأمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب

والحركات الاحيائية الدينية ــ دراسة فى الانثروبولوجيا الدينية

دكتور فاروق احمد مصطفى
استاذ مساعد بكلية الآداب
جامعة الاسكندرية

مقدمـــة :

بدأت معرفتي بالأمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب عندما اشرت اليه في احدى دراساتي عن الجماعات الدينية في مصر عام ١٣٩٨ هـ/١٩٧٨ م في عجالة وذكرت أن هناك فروقا كثيرة بين ما قام به الأمام الشيخ وبين ما تقوم به هذه الجماعات . وكنت قد قرأت كتابا واحدا من مؤلفات الشيخ ـــ رحمه الله ـــ وهو كتاب كشف الشبهات وبعض المراجع الأجنبية الأخرى .

وفي هذه الدراسة اشرت الى ما يعرف في علم الانسان (الانثروبولوجيا) وعلم الاجتماع الديني باسم (الحركات الاجتماعية الدينية) والتي أطلق عليها بعض علماء علم الانسان مصطلح « الحركات الأحيائية » واستخلصت بعض المبادىء الخاصة بهذه الحركات واعتبرتها أساسا للحكم على الجماعات الدينية وعلى ما قام به الامام الشيخ محمد بن عبد الوهاب ووصلت الى نتيجة هامة وهي ان « ماقام به الامام الشيخ يعد بكل المقاييس العلمية والمحكات الاجتماعية حركة اجتماعية دينية احيائية قصد بها العودة مرة أخرى الى الدين الإسلامي الحنيف »[1] الذي دخل عليه كثير من العادات والتقاليد والعبادات التي بلغت درجة تقديس الأشجار في شبه الجزيرة العربية .

وقد اتاحت لي اعارتي للعمل بكلية العلوم العربية والاجتماعية بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية بالقصيم فرصة الاطلاع على مؤلفات الامام الشيخ محمد بن عبد الوهاب وعلى ما كُتب عنه من دراسات وكذلك المؤلفات التاريخية التي عاصرت حياة الشيخ ومنها :

---

(١) من امثلة هذه الحركات الاحيائية المهدية في السودان ، وحركات الكاجو في ميلانزيا والتي ظهرت في اواخر القرن الماضي كمحاولة للسيطرة على الصناعات الاجنبية وعلى الثقافة الاجنبية وبعبارة اخرى السيطرة الاجنبية على البلاد وقد شارك السوسيه في هذه الحركات . راجع في ذلك احمد ابو زيد « السوسيه بالمغرب » في كتاب « دراسات انثروبولوجية في المجتمع العربي » . د . ت . القاهرة ، ١٩٦٢ ، ص ٧٢

ـــ عنوان المجد فى تاريخ نجد تأليف المؤرخ الشهير الشيخ عثمان بن عبد الله بشر النجدى .

ـــ روضة الافكار والافهام لمرتاد حال الامام وتعداد غزوات ذوى الاسلام لتلميذ الامام محمد بن عبد الوهاب ابن غنام الاحسائى والذى حققه الدكتور ناصر الدين الاسد بعنوان تاريخ نجد ونشرته مطبعة المدنى بالقاهرة ، ١٣٨١ هـ/١٩٦٢ م .

ووجدت نفسى أعود مرة ثانية إلى ما سبق أن كتبت منقحا ومزيدا عليه فى دراستى الحالية هذه ومقتصرا على الامام الشيخ محمد بن عبد الوهاب ومبرزا وموضحا الجانب الاجتماعى الهام لحركة الامام الشيخ وما قام به الشيخ نفسه من دور متميز ساعد على نشر حركته الاصلاحية الاحيائية بالتفصيل

والحقيقة فقد قام كثير من الدارسين والباحثين قبلى بابراز الجوانب التاريخية والدينية الهامة فى حياة الامام الشيخ . ولكن فى هذه الدراسة الاجتماعية فاننا نحاول أن نلقى الضوء على الجانب **الاجتماعى** فى حياة الامام الشيخ وحركته الاصلاحية هذا الجانب الذى لا يقل أهمية بأى حال من الأحوال عن الجوانب الأخرى المتعددة التى أبرزتها الدراسات السابقة مع استخدام أسس وعناصر ووحدات « موتيفات » اجتماعية استخدمها بعض علماء الانثروبولوجيا والاجتماع للحكم بها على القادة الدينيين وعلى مؤسسى الحركات الدينية الاحيائية .

والدراسة الحالية تحاول الاجابة عن بعض التساؤلات الكثيرة التى تطرح نفسها وأهمها :

ـــ هل الامام الشيخ محمد بن عبد الوهاب من هؤلاء القادة الدينيين الذين احدثوا تغييرا كبيرا فى مجتمعهم ؟

ـــ هل يعد الامام الشيخ مؤسسا لحركة دينية كتب الله لها النجاح والازدهار والانتشار ؟

ـ ما هى أهم الصفات الخاصة بالامام الشيخ .. وهل تدخل هذه الصفات فيما يصفه علماء الاجتماع بمقولة (الكارزما) أو القوة الخاصة والالهام الذى يتمتع به القادة الدينيون ؟

ـ هل لحركة الامام الشيخ الدينية الاحيائية أثر فى حركات دينية أخرى ؟

وفى اجابتنا عن التساؤلات السابقة وعن كثير من التساؤلات الأخرى نستخدم الموضوعية العلمية التى تطلب من الدارسين والباحثين عدم التحيز للدور الذى قام به الشيخ أو التحامل عليه وإنما ابراز الحقائق العلمية المجردة فى ضوء نظريات علم الانسان وعلم الاجتماع للحركات الدينية مع استبعادنا لكل الأفكار المسبقة حتى يمكن التوصل الى نتائج دقيقة[٢] .

تتناول هذه الدراسة العناصر الأساسية التالية :

ـ مفهوم الحركات الاحيائية والمراحل التى تمر بها والنظريات المختلفة التى عالجتها باختصار .

ـ المناخ الاجتماعى والثقافى الذى نشأ فيه الأمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

ـ الجانب الاحيائى والاصلاحى فى دعوة الامام الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

ـ انتشار الحركة الاصلاحية الاحيائية التى قام بها الامام الشيخ محمد بن عبد الوهاب وتأثيرها فى حركات احيائية واصلاحية اسلامية اخرى .

ـ اوجه الشبه والاختلاف بين حركة الامام الشيخ محمد بن عبد الوهاب الاحيائية وبين الحركات الاحيائية بمفهومها الاجتماعى .

ارتبطت الحركات الاحيائية بالحركات الدينية بدرجة كبيرة ، الأمر الذى أدى ببعض علماء علم الانسان أن يطلقوا عليها مصطلح الحركات الدينية[٣] . كما يطلق على الحركات الاحيائية فى بعض الاحيان فى الكتابات العربية مصطلح « البعث » وهى عبارة عن جهد منظم واع يضطلع به بعض أفراد المجتمع وذلك بهدف اقامة ثقافة مغايرة للثقافة الحالية تكون أكثر ملاءمة وتعتمد على الماضى وتأخذ منه وتربطه بالحاضر . وتعرض الحركة الاحيائية قيما أخرى وفى كثير من الأحيان يحاول البعض تشويه صورة الحركات الدينية واظهارها على غير حقيقتها وينبغى على الدارسين المنصفين الموضوعيين رد اعتبار هذه الحركات ووضعها فى المكانة اللائقة بها . كما يجدر الإشارة أن بعث الماضى فى هذه الحركات لا يقف عنده وحده بل تنشد هذه الحركات الحياة والنشاط واليقظة وتستمد من الماضى ما يتلاءم مع الحاضر تمام الملاءمة[٤] .

ويعرف عالم الإنسان إنتوني والاس A. Wallace الحركات الاحيائية بانها حركات اجتماعية لها طبيعة دينية تقوم بغرض **أحداث اصلاح كلى فى المجتمع**[٥] . ومن أمثلة هذه الحركات حركة « الكارجو » فى ميلانزيا والتى ظهرت فى أول الأمر بهدف السيطرة على حمولة السفن والطائرات ونبذ الثقافة الاجنبية ومعارضة سيطرة الاجانب على البلاد وكذا الحركات الدينية الاسلامية كالحركة السنوسية فى ليبيا والتى تعد امتدادا لحركة الامام محمد بن عبد الوهاب الاحيائية — محل الدارسة — والتى سنتناولها بالتفصيل .

ومن أهم أسباب تسمية هذه الحركات بالحركات الاحيائية ، أنها تعتمد فى قيامها على ما يبذله بعض أعضاء المجتمع من مجهود واع وعاقل ومنظم بهدف خلق الثقافة التى يرضى عنها أعضاء المجتمع كما تهدف الى الرجوع الى الماضى ومحاولة احياء العهود الذهبية التى عاشها المجتمع[٦] .

ويرجع استخدام المصطلح الى سنة ١٧٩٩ م عندما استخدم لأول مرة عندما قامت حركة اجتماعية تهدف الى توفير الحياة الكريمة للهنود الحمر الذين يسكنون فى ولاية نيويورك الأمريكية ، وطبعا لم يقتصر استخدام المصطلح على أمريكا بل شمل أيضا آسيا وأفريقيا كما سبق أن أوضحت[٢] .

وكثيرا ما ارتبطت الحركات الاحيائية الدينية بالحركات الوطنية لأن هذه الحركات كانت تقاوم الاستعمار والتدخل الاجنبى وإن كانت تعتمد على الدين وتعتبره الدافع الأول والمحرك والهدف الرئيسى عند بداية قيام الحركات .

وقد حدد علماء الانسان مراحل ثلاثة تمر فيها الحركات الاحيائية نلخصها بايجاز فيما يلى .

١ــ مرحلة ما قبل ظهور الحركة :

وفيها يكون المجتمع راضيا عن الاوضاع الاجتماعية والثقافية الموجودة ثم تبدأ نتيجة زيادة الضغوط فى المجتمع أو نتيجة ظهور ثقافة جديدة أو اكتساب وزيادة درجة التباين والاختلاف بين الأفراد ظهور من يعارض الثقافة القائمة ويطالب بالتغيير .

٢ــ المرحلة الثانية :

وفى هذه المرحلة يتحدد شكل الحركة وتوضع لها القواعد والنظم الخاصة بها واجراء الاتصالات اللازمة ومحاولة اقناع المعارضين ووضع التنظيم المناسب والذى يساعد على احداث التحول الثقافى .

٣ــ المرحلة الثالثة :

فهى تحدد انتصار الحركة ووضعها لقواعد نمطية لازمة للممارسات والشعائر الدينية وثبات هذه الممارسات[١] .

والخطوات الثلاثة السابقة ليست بالضرورة يجب أن تمر بها كل الحركات الاحيائية ولكنها خطوات ومراحل وجد العلماء من واقع دراستهم للحركات الاحيائية حدوثها

سواء تعلقت الحركات الاحيائية بالمجتمعات المتقدمة أو فى تاريخ الاديان الكبرى ذاتها مثل الاسلام والمسيحية واليهودية[٩] .

ويرى علماء الاجتماع أن الحركات الاحيائية تمر أيضا بالمراحل الثلاثة ولكن خلال سنوات التكوين الأولى للحركات الاحيائية تتخذ الحركات شكل الجماعات الأولية غير الرسمية وتبدأ العملية أساسا بأن يؤثر مؤسس الحركة الدينية فى مجموعة من الأفراد الذين يتبعونه ويتأثرون به من خلال الاتصال المباشر باعتباره قائدهم الملهم . ومثل هذا الاتصال يمدهم بالتماسك والتضامن . والجماعة فى هذه المرحلة الأولى لا يتعدى دورها عن الاستماع والامتثال الى التعاليم الدينية الجديدة ويحاول المؤسس وضع قواعد تنظيمية للجماعة ولسلوكها .

أما فى المرحلة الثانية : فيتولى خلفاء المؤسس اعطاء تفسيرات واضحة للأمور الأساسية المتصلة بالتنظيم أو المعتقدات ، ويصبح للجماعة تنظيمها الرسمى واذا ما نجحت الحركة فى البقاء . فان المرحلة الثالثة تتميز بالتوسع والتفرع وبهذا تصبح الحركة أكثر تماسكا وتتخذ أشكالا متعددة[١٠] .

وهناك عدة نظريات واتجاهات فكرية رئيسية تقوم على أساسها الحركات الدينية والاجتماعية نوجزها فيما يلى :

١ــ نظرية الحرمان المطلق :

وترى أن سبب ظهور الحركات يرجع إلى المستويات المعيشية المنخفضة التى تؤدى الى السخط وعدم الرضا عن الاوضاع الاجتماعية الرئيسية القائمة مما يساعد على ظهور الحركات الاجتماعية ولاعتناق بعض الافكار الدينية .

٢ــ نظرية الحرمان النسبى :

وتعتبر من النظريات الاكثر قبولا بالنسبة للحركات الاحيائية والوطنية وهذه النظرية لا ترجع ظهور الحركات الاجتماعية الى الضغوط المحلية وإنما ترجعها الى تأثير التباين وتحقيق طموح أفراد المجتمع وبين مستوى المعيشة الواقع فى حياتهم .

٣ــ نظرية اكتساب الثقافة :

وترجع هذه النظرية ظهور الحركات الاحيائية الى الاتصال الثقافى الذى يتم بين شعوب متقدمة وأخرى متخلفة ثقافيا ومحاولة فرض الثقافة المتقدمة على هذه الشعوب .

٤ــ النظرية التطورية الاجتماعية :

ترجع الحركات الاجتماعية الى التعبير عن الرفض الشعبى ضد الأحوال والظروف الاجتماعية السيئة[٢] .

ومما لا شك فيه أن الحركات الدينية تعتمد اعتمادا كبيرا على شخصية مؤسسها وما يتمتع به من جاذبية وقدرة على التعبير والاقناع ، وهذه القدرة تجعل الناس يلتفون حوله ويطلق علماء الاجتماع على هذه الصفات مصطلح (الكارزما) وهى عبارة عن طاقة ملهمة أو قوى روحية غير عادية دينية تساعد على نشر القيم الجديدة ويستطيع القائد الدينى أن يحقق بهذه القوة دعوته فى التغيير وفى ايمان الجماعة بافكاره ومبادئه[٣] .

تناولنا فى هذا الجزء من الدراسة الحركات الدينية الاحيائية وكيفية ظهورها والمراحل التى تمر بها والخطوات الرئيسية وأيضا شخصية مؤسس الحركة الدينية وما يتمتع به من سمات وصفات خاصة وذلك قبل أن نلقى الضوء على حياة الامام الشيخ محمد بن عبد الوهاب والحركة الدينية الاحيائية التى قام بها حتى نستطيع أن نطبق على هذه الحركة المفاهيم والمبادىء الاساسية للحركات الدنية الاحيائية وحتى نستطيع أن نحكم على حركة الشيخ بطريقة موضوعية .

والتساؤل الهام الذى يتبادر الى الذهن هو هل حركة الامام الشيخ حركة احياء وبعث جديد للدين الاسلامى ؟ وما الدور الهام الذى قام به الشيخ فى نشر هذه الدعوة ؟ وأثر هذه الحركة الاحيائية فى الحركات الاحيائية الأخرى للدين الإسلامى

عند اجابتنا على التساؤلات السابقة وغيرها سنشهد بالدراسات الاجتماعية ودراسات علم الانسان مع مراعاة الظروف الاجتماعية والثقافية التى عاشها الامام الشيخ والتى ظهرت فى ظلها حركته الاحيائية .

(٣)

واذا ما استعرضنا ما كتبه المؤرخ ابن غنام الاحسائي تلميذ الشيخ محمد بن عبد الوهاب وما كتبه ابن بشر في « تاريخ نجد » فإنهما يشيران بوضوح الى المناخ الاجتماعي والثقافي السائد في شبه الجزيرة العربية قبل ظهور دعوة الامام حيث ذكرا ان القبور والأضرحة والأحجار والاشجار كان يقبل عليها المسلمون ويعظمونها ، فعلى سبيل المثال لا الحصر نجدهم يزورون قبر زيد بن الخطاب في الجبيلة ويدعونه لتفريج كروبهم وفي بلدة منفوحة يتوسلون بنخل النخل ، وتذهب النسوة طالبات الزواج وغير ذلك من الامور التي إن دلت على شيء فانها تدل على فساد المناخ الاجتماعي والثقافي كما ساد أيضا في هذا المناخ الانقسام والصراع بين إمارات متناثرة كثيرة وكانت الحروب المستمرة بينها وحوادث السطو والاعتداء التي لا تنتهي .

وفي هذا المناخ الاجتماعي والثقافي ولد الشيخ محمد بن عبد الوهاب في العيينة عام ١١١٥ هـ/١٧٠٣ م . ونشأ الشيخ فيها وقرأ على أبيه وكان كثير المطالعة في التفسير والحديث وكلام العلماء في أصل الإسلام فشرح الله صدره في معرفة التوحيد . وسافر إلى البصرة يريد الشام فلما وصلها جلس يقرأ فيها عند عالم جليل وتجمع عليه الناس في البصرة من رؤسائها وغيرهم فأذوه أشد الأذى ولم يستطع الوصول الى الشام لضياع نفقته فقصد الشيخ الاحساء ومنها الى حريملاء التي انتقل اليها أبوه في ١١٣٩ هـ وجلس عند أبيه يقرأ عليه وينكر ما يفعل الجهلاء من البدع والشرك في الأقوال والأفعال وأعلن دعوته القائمة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتبعه بعض أهل البلد واشتهر بينهم ولما أراد أن يمنع عبيد أحدى القبيلتين بحريملاء عن الفساد وينفذ فيهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هم العبيد أن يفتكوا بالشيخ ويقتلوه ليلا .

فانتقل الشيخ بعدها الى العيينة وعرض على رئيسها التوحيد ونصرة « لا إله الا

الله ، فوافق وتبعه مجموعات كبيرة وبدأ الشيخ فى قطع الاشجار التى كان يعظمها الناس وفى هدم قبة قبر زيد بن الخطاب فعظم أمره وبلغ خبره قائد الاحساء والقطيف فأرسل الى رئيس العيينة يأمره بقتل الشيخ والا قطع عنه الأجر والخراج فطلب من الشيخ أن يغادر العيينة فغادرها متوجها الى الدرعية حيث علم به خصائص من اهلها ورأوه فقرر لهم التوحيد واستقر فى قلوبهم فارادوا ان يخبروا محمد بن سعود حاكمها ويشيروا عليه بنصرته لكنهم هابوه فارسلوا الى زوجته واخبروها بمكانة الشيخ وما يأمر به فوقر فى قلبها التوحيد واخبرت زوجها بمكانة الشيخ وطلبت منه نصرته فقبل قولها ولما تحقق من معرفة التوحيد اشترط على الشيخ الا يغادر الدرعية أن اظهر الله الدعوة ونصرها فوافق الشيخ على ذلك كما طلب منه الا يتدخل فيما يفرضه على اهلها من قانون وقت الثمار فوعده الشيخ بخير منه وتحقق له ما قاله الشيخ .

استقر امر الشيخ والدعوة فى الدرعية وقصدها وهاجر اليها كثير من الاتباع مما امنوا بالدعوة ، وقد كان الشيخ يتمتع بصفات كثيرة وهى الزعامة وموهبة التحدث والقيادة ، ولتحليلنا هذه الصفات نجد انها صفات وخصائص فريدة لقائد دينى يتمتع بقدرة على اقناع اتباعه وتأكيد حركته الاحيائية ، وهذه الصفات كما اسلفت يطلق عليها الاجتماعيون مصطلح الكارزما* ، وهى ترتبط عادة بالنبين وبالقادة الدينيين ، وهذه القدرة الملهمة لا يتمتع بها كثير من القادة فى

---

* ادخل عالم الاجتماع ماكس فيبر M. Weber مصطلح الكارزما Charisma الى الدراسات الاجتماعية ليدلل به على قوة بعض الاشخاص أو موهبتهم أو قدرتهم غير العادية . بهذه القوة هى التى تؤهل اصحابها لأن يكونوا امثلة لغيرهم من الأفراد كما أن هذه القوة غير العادية هى التى تجعل الأفراد يعطون اليهم على أنهم مقدسون وممتازون على الناس ومن ثم فهم أهل للعبادة جماهيرية أو الاحترام الشديد لأن يكونوا حكاما لمجتمعاتهم أو انبياء ورسلا .

فالكارزما اذن مجموعة من الصفات أو المواهب الخارقة للعادة التى يمنحها الله لبعض الافراد فيصبحون اهلا للقيادة والزعامة وقد تختلف درجات تفوق فى القيادة الكارزمية فيصبح منهم الخطباء والثوار أو قادة الاصلاح أو قادة الاحزاب والانبياء أو الرسل ، ومن وجهة نظرنا أن صفة الكارزما تشبه الى حد كبير مع مصطلح الكرامة التى نعتقدها فى مجتمعاتنا تطلقه على بعض الأولياء والصديقين والزعماء الدينيين . =

ميادين الحياة الأخرى وقد تمتع بها الامام الشيخ محمد بن عبد الوهاب مما ساعد على الالتفاف حوله وكثر مؤيدوه واتباعه نظرا لصفاته الخاصة وايضا لبساطة دعوته في التوحيد وعدم الشرك بالله وكفاحه وبضاله ضد الشرك بجميع اشكاله والوانه وضد البدع والخرافات والانحطاط الخلقي مما يؤكد قدرته الفائقة وتفوقه الاجتماعي وشخصيته القوية التي كانت تجذب اليها كل من تحدث اليهم الشيخ بحديث التوحيد .

وقد كانت لاقامة الشيخ في الدرعية ولسعة اميرها محمد بن سعود الطيبة اكبر الاثر في تهيئة الأرض الصالحة للدعوة فقد لبى الدعوة بكل حماس اعضاء جدد فقام الشيخ بتعليمهم مبادىء الدعوة وقد ابلوا بلاء حسنا في سبيل نشرها . وكاتب الشيخ اهل ورؤساء البلدان بدعوة التوحيد فمنهم من قبل ومنهم من اخذه سخريا فأمر الشيخ بالجهاد وحض اتباعه عليه فامتثلوا وكتب الله للدعوة النصر فانتصرت على خصوم الاسلام وازيلت القباب وقطعت الاشجار وخلصت العبادة لله تعالى ، واخذ الناس يعودون إلى ربهم وخالقهم فتفرغ الشيخ بعد ذلك للعبادة وتعليم العلم الى أن توفي في يوم الاثنين آخر شهر شوال سنة ١٢٠٦ هـ/١٩٧٢ م وله من العمر نحو اثنين وتسعين عاما[٣] .

= ويؤكد ماكس فيبر في نظريته عن الكاريزما ان الجماعة المتلفة هي الفكرة الاساسية التي يعتمد عليها النظام الكاريزمي وقد يصل الأمر الى التضحية من أجل تأدية الرسالة الشخصية الكاريزمية لقائده الاصلاح بقدر ما يقوم به الشخص الكاريزمي من خوارق الاعمال بقدر ما يستطيع أن يجذب اليه الاتباع ويسيطر عليهم فكأن التأثير في الاتباع متوقف تماما على قدراته الخارقة التي تفوق قدرة الآخرين

ويرى تالكوت بارسونز Talcott Parsons أن عملية التغيير في بعض المجتمعات الانسانية تحتاج الى أن يقوم بعض الافراد بدور هام لاحداث هذه العملية وهذا الدور مرتبط بالقائد الكاريزمي الذي يلعب دورا هاما في تغيير اتجاهات وفي السيطرة على النسق الاجتماعي بل قد يمتد تأثيره الى نسق القيم فيفرض على الجماعة الانسانية ايديولوجية معينة .

راجع :

Max Weber, The Theory of social and Economic organization ed. by Talcott Parsons. denco, III. Free Press 1957

Edward Shills "Charisma" in I.E.S.S. Vol 2, pp 386-390.

Talcott Parsons, The Social System, Routledge & Kegan Paul, London 1970

مادمنا بصدد توضيح المناخ الاجتماعى والثقافى فى العصر الذى عاش فيه الامام محمد بن عبد الوهاب فانه يمكننا أن نعقد مماثلة انثروبولوجية[٣] لعصر الامام وللعصر الذى عاش فيه الرسول عليه الصلاة والسلام ونقصد هنا بالمماثلة تحديد أوجه التشابه بين العصرين أو ما يعرف فى علم الانسان بمصطلح التوازى الثقافى ، وتتم المماثلة بين ثقافة العصرين فى أهم النقاط التالية :

الثقافة السائدة فى عهد رسول الله والمناخ الاجتماعى	الثقافة السائدة فى عهد الامام محمد بن عبد الوهاب والمناخ الاجتماعى
١ــ كانت الاصنام تعبد فى عهده .	انتشرت حياة الجاهلية أيام الامام .
٢ــ كانت الانسانية فى حاجة ماسة الى الرسول .	ظهر الشيخ فى وقت كانت نجد فى أشد الحاجة الى المصلح .
٣ــ وفق الله الرسول فى دعوته ونصره .	وفق الله الامام فى احياء دعوة الرسول .
٤ــ هاجر الرسول من مكة الى المدينة .	هاجر الشيخ من حريملاء الى الدرعية مقتديا برسول الله وبالقرآن الكريم .
٥ــ الدعوة باللين والحسنى فى بداية ظهورها .	سار الشيخ على نهج الرسول فى دعوته .
٦ــ الاخطار الكثيرة التى تعرض لها الرسول من المشركين فى مكة .	تعرض الامام الى كثير من الأذى والاخطار من أجل دعوته الى احياء سنة رسول الله.
٧ــ ارسل الرسول رسائله الى الملوك يدعوهم الى الاسلام .	اقتدى الامام بالرسول فى ارساله رسائل للأمراء يدعوهم الى التوحيد وعدم الشرك بالله.
٨ــ الغزوات وخروج الرسول بها .	نادى الامام بالجهاد وخرج مع الامير محمد بن سعود فى الجهاد .

وهذه المماثلة لا نقصد بها على وجه التحديد والمساواة بين الرسول عليه الصلاة والسلام وبين الامام الشيخ ، وإنما قصد بها توضيح المناخ الاجتماعي والثقافي للعصرين . فحاشى لله أن يتساوى أحد من البشر مع رسول الله الذي يعد بحق المثل والقدوة والاسوة الحسنة للمسلمين جميعا .

(٣)

من العرض الموجز السابق لحياة الامام محمد بن عبد الوهاب يمكن أن نبرز الجانب الاحيائى فى دعوة الامام . وهذه الدعوة تعتبر من اولى الحركات الاحيائية التى ظهرت فى الأمة العربية تعبيرا عن كراهية العرب لمفاسد الدولة العثمانية ومحاولة منهم تحقيق وحدة اسلامية لمواجهة حركة التتريك التى حاولتها الدولة العثمانية بالنسبة للحضارة العربية والاسلامية .

وهى تعد بحق من الوجهة الدينية الخالصة حركة احيائية تجديدية سلفية اصلاحية ارتكزت على نفس الدعائم التى ارتكزت عليها دعوة الامام ابن تيميه فى الرجوع الى الكتاب والسنة فى كل شيء من شئون الحياة واتباع سبيل السلف الصالح فى فهم الآيات القرآنية والاحاديث النبوية ومحاربة البدع والمنكرات ولاسيما ما اتخذت مظهر الشرك بالله كالتمسح بالقبور والصلاة عندها وطلب الحاجة منها والاستعانة بغير الله والتبرك بالاشجار والاحجار التى يعتقد فيها العامة أنها قادرة على جلب الخير أو دفع الشر والاهتداء بهدى الرسول حرفيا .

ومما يجدر الاشارة اليه ان رواد الحركات الاحيائية والاصلاحية يتعرضون دائما لألوان من التعذيب والاضطهاد من جانب ذوى السلطان فقد تعرض ابن تيمية لالوان من التعذيب والسجن ولما مات فى سجنه زاد علوا وتأثيرا فى الأمة[٢٧] .

كذا نجد الامام الشيخ محمد بن عبد الوهاب يتعرض لصنوف من الايذاء والآلام والاستهزاء والسخرية من مدعى العلم ومن رؤساء البلدان وعبيدهم لكن كتب الله لحركته فى النهاية النجاح والاستمرار والتأثير فى حركات احيائية واصلاحية اخرى سنشير اليها .

ويمكن أن نحدد الملامح الاساسية للدعوة من قول الامام محمد بن عبد الوهاب والتى كتبه ابن غنام فى تاريخ نجد ، قال الشيخ : « انى هدانى ربى الى صراط

مستقيم دينا قيما ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين ولست ولله الحمد أدعو الى مذهب صوفى أو فقيه أو متكلم أو إمام من الأئمة الذين أعظمهم مثل ابن القيم والذهبى وابن كثير وغيرهم بل أدعو الى الله وحده لا شريك له وأدعو الى سنة رسول الله ﷺ[٢٨] ، ويقول أيضا « مذهبنا فى أصول الدين مذهب أهل السنة والجماعة وطريقنا طريقة السلف اذ هى الطريق الأسلم والأعلم والأحكم اخلاقا لمن قال طريق الخلف أعلم ، وهى أنا نقرأ آيات الصفات وأحاديثها على ظاهرها ونكل علمها الى الله تعالى مع اعتقاد حقائقها فان سالكا وهو من أجل علماء السلف لما سئل عن الاستواء فى قوله تعالى « الرحمن على العرش استوى » قال الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة ونعتقد ان الخير والشر كله بمشيئة الله تعالى ولا يكون فى ملكه الا ما أراد فان العبد لا يقدر على خلق فعاله بل له كسب رتب عليه الثواب فضلا والعقاب عدلا . ونحن فى الفروع على مذهب الامام أحمد بن حنبل ، ولا ننكر على من قلد أحد الأئمة الأربعة دون غيرهم لعدم ضبط مذاهب الغير كالرافضة ونحوهم ، لا نقرهم ظاهرا على شيء ومن مذاهبهم الفاسدة بل نحيرهم على تقليد أحد الأئمة الأربعة ولا نستحق مرتبة الاجتهاد مطلقا ، ولا أحد يدعيه . الا أنا فى بعض المسائل اذا صح لنا نص جلى من كتاب أو سنة غير منسوخ أخذنا به .. الخ[٢٩] .

من النص السابق ونصوص تاريخية لا يتسع المجال لذكرها نستطيع أن نحدد أهداف الدعوة الاحيائية للامام محمد بن عبد الوهاب فيما يلى :

١ــ الرجوع بالإسلام الى ما كان عليه فى أيام الرسول والخلفاء والصدر الأول .

٢ــ الدعوة إلى الاهتمام بالقرآن الكريم باعتباره المصدر الأول للتشريع الإسلامى .

٣ــ الالتزام بالسنة النبوية فى كل ما أتى مجملا فى القرآن الكريم .

٤ــ اتباع مذهب أهل السنة والجماعة .

٥ــ تخليص التوحيد مما شابه من شرك .

٦ــ محاربة البدع والخرافات المتمثلة فى عبادة القبور والاستعانة بغير الله وانقاذ الناس من أساليب الجاهلية التى اخذت تتفشى فى المجتمع الإسلامى منذ بداية القرن الثامن الهجرى .

٧ــ فتح باب الاجتهاد فى الفروع دون الاصول .

٨ــ ضرورة القيام بواجب الجهاد واحياء هذه الفريضة التى اصابها الوهن فكانت الحركة الاحيائية للامام ثورة عارمة على الاستعباد والضعف والانحلال الذى وصل اليه العالم الإسلامى[٣٠] .

وحركة الامام الاحيائية الاسلامية التوحيدية كان لها أكبر الأثر الواضح والقوى والفعال والمؤثر فى تصحيح المسار الفكرى فى العالم الاسلامى وتنقية الدين الاسلامى مما علق به من الشوائب والخرافات والبدع والخزعبلات والتمسك بالقرآن والسنة باعتبارها القواعد الاساسية للدين الاسلامى والذى يجب أن تسير الامة الاسلامية على هدى هدين النبعين الخالدين ونبذ ما يتنافى معها من بدع وضلالات دخلت على الدين فى عصور لاحقة للدعوة الاسلامية السابقة لدعوة الامام الشيخ محمد بن عبد الوهاب[٣١] .

ومما لا شك فيه أن الشيخ قد استمد من القوى الروحية الاسلامية زادا ايجابيا واجه به الصعوبات وحركة التشويه التى كانت ترمى الى طمس معالم التراث الاسلامى ومما ساعد على تفاعل الاتجاهات الاحيائية لحركة الامام شعور المسلمين واحساسهم بالآثار المدمرة التى لحقت بتراثهم الاسلامى والحضارى بفعل معاول الهدم الاستعمارى وحاجتهم الى تلمس العودة الى اغوار قيمهم الاسلامية الاصيلة لازالة ما علاها من صدأ أو احتواها من تزييف وبهتان[٣٢] .

وكان الاضطهاد ، الذى تعرضت له حركة الامام الاحيائية والذى قامت به الدولة العثمانية وما صاحب ذلك من شائعات من اعداء الامام وأعداء دعوته اكبر الاثر فى انتصار الدعوة وانتشارها وذيوعها[٣٣] وهذا يؤكد ما سبق أن ذكرنا ، من ان القائمين بالحركات الاحيائية يتعرضون لكثير من الاضطهاد الذى يعد فى

الواقع من العوامل الهامة فى نشر دعواتهم وتحقيق الانتصارات المتتابعة لهذه الحركات .

وليس غريبا أن تواجه حركة الامام بمقاومة عنيفة فى أول أمرها لان ذلك رد فعل طبيعى لمواجهة فئات من المنتفعين والحكام المعاندين الذين جهزوا حملات ظالمة مستخدمة كل قدرة على الكذب وفنون الاغراء والتضليل واغراء البسطاء والعلماء المفتونين لمحاولة تشويه الدعوة وخلق جو من الكراهية حول مفاهيمها[١٤٤] . وهذا ما اكدته الدراسات الاجتماعية والانثروبولوجية بالنسبة لمحاولة تشويه الحركات الاحيائية وتشويه سمعة القائمين بها .

وبالرغم من ذلك فقد وجدت الحركة الاحيائية التى قام بها الامام كثير من المنصفين من الدارسين المسلمين والاجانب ، فهذا لوثروب ستودارد يقول فى كتابه « حاضر العالم الاسلامى » : « ان الدعوة الوهابية إنما هى دعوة اسلامية خالصة بحتة اغراضها اصلاح الخرق ونسج الشبهات أو ابطال الاوهام ، ونفض التفاسير المختلفة والتعاليق المتضاربة التى وضعها اربابها فى عصور الاسلام الوسطى ودحض البدع وعبادة الاولياء . وعلى الجملة فى الرجوع الى الاسلام والاخذ به على أوله وأصله ولبابه وجوهره أى أنها الاستمساك بالوحدانية التى أوحى الله بها الى صاحب الرسالة ، صافية والاهتداء والائتمام بالقرآن المنزل مجردا ، وما سوى ذلك فباطل وليس فيه شىء من الاسلام »[١٤٥] .

(٤)

لم تسلم دعوة الامام الشيخ محمد بن عبد الوهاب من حرب شنها عليها بعض الحكام المحليين وبعض مدعي العلم . وكما أشرت فان اتفاق الدرعية (١١٥٧ هـ) بين الامام وبين أميرها محمد بن سعود كانت بداية مرحلة هامة في تاريخ الدعوة السلفية فقد تعاهدا على اظهار دين الله والجهاد في سبيله وكانت المعاهدة عهدا جديدا لنشر الدعوة وتوحيد المسلمين تحت راية الاسلام وبدا بدأت مرحلة جديدة وهي مرحلة الجهاد ، وأصبحت مدينة الدرعية مركز الحركة الاحيائية التي قام بها الامام الشيخ .

وأصبح من الضروري مواجهة اعداء الحركة حيثما كانوا والقيام بالحملات الحربية للدفاع عنها وافساح المجال أمام الراغبين في الانضمام اليها والرجوع الى الحق .

وبدأت سلسلة من المعارك الحربية المتصلة وانتصرت كلمة الحق وشهد الامام الشيخ محمد بن عبد الوهاب في أواخر حياته رايات التوحيد خفاقة على معظم اقاليم الجزيرة العربية التي شهدت تحولا خطيرا في حياتها الدينية والسياسية والفكرية والاجتماعية والاقتصادية تحت لواء الدولة السعودية[٢٦] .

وكان لانتشار الدعوة في جميع أرجاء الجزيرة العربية وكذلك في خارجها عندما سمع بها المسلمون في مواسم الحج وأيدوها وتحمسوا لها وكذلك فليس من باب الصدفة أن جميع حركات الاصلاح التي ظهرت في العالم الاسلامي منذ أواخر القرن الثامن عشر الميلادي وخلال القرن التاسع عشر الميلادي كلها كانت دعوات دينية احيائية واصلاحية تأثرت بدعوة الامام الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية .

وفي هذا الصدد نشير في عجالة الى بعض هذه الحركات الاحيائية التي ظهرت في العالم الاسلامي والتي تأثرت بدرجة كبيرة بدعوة الامام الشيخ . ففي الهند

ظهرت حركة « الفرائضية » التى أسسها « شريعة الله » فى البنغال سنة ١٨٠٤ م . وقد كان لاقامته الطويلة فى مكة اكبر الأثر فى تعرفه على دعوة الامام الاحيائية ومحاولته عند عودته الى الهند نشر مبادئها بين سكان البنغال .

كما وأن دعوة الامام أيضا اثرت فى بعض الحركات السياسية الدينية التى قامت خلال القرن التاسع عشر فى الهند ومن هذه الحركات حركة « السيد احمد » الذى ادى فريضة الحج سنة ١٨٢٢ م واجتمع باتباع الامام الشيخ فى مكة واقتنع بالدعوة ومبادئها واصبح من انصارها واعوانها ونشر دعوته فى البنجاب ودعا المسلمين الى الايمان بمبادىء الاسلام الصحيح وترك البدع والعقائد الأخرى .

وتأثرت دعوة صديق حسن خان مؤسس حركة أهل الحديث فى الهند أيضا بدعوة الامام وكان ذلك طبيعيا نظرا لاقامته فى الحجاز[٢٧] .

أما فى المغرب والجزائر فقد كان للحركة الاحيائية للامام الشيخ محمد بن عبد الوهاب أكبر الأثر فقام « سيد محمد بن عبد الله » (١٧٥٧ــ١٧٩٠ م) بكفاحه ضد التصوف المنتشر فى المغرب وسار على نهجه (مولاى سليمان) (١٧٩٢ م/١٨٢٦ م) والذى أدخل مبادىء دعوة الامام الى مراكش . وقام أبو العباس التيجانى بالدعوة الى ترك البدع والنهى عن زيارة القبور فكثر اتباعه وقامت دعوته بحركة كفاح مسلح ضد فرنسا واسبانيا معا فى الجزائر ومراكش .

ولما جاء الامام السنوسى الى مكة حاجا ومكث يطلب العلم وعاشر اتباع دعوة الامام وتتلمذ على علمائها وشيوخها واعتنق مبادئها وعاد الى الجزائر ينشر ويؤسس طريقته الخاصة فى بلاد المغرب وكانت وسيلته فى تنفيذ حركته الدينية الاحيائية هى

---

* يجب على الشيخ السيد محمد خان ــ الذى منح درجة السير ــ موقفه وولاءه السياسى فقد نصح المسلمين فى الابتعاد عن أى نشاط سياسى وأن يهتموا فقط بالتعليم . وعندما نصح بعض المسلمين فى مجلس الكونغرس القومى الهندو هاجمهم ووقف ضد المسلمين بقوة وقد اعلنت جريدته فى عدم منح بريطانيا تفويض حتى تسلم السلطة مقابل قسمة وقد اعتقل المسلمون شعاره « بالعمل من اجل سياسية وحرموا منها لسنوات طويلة حتى المسلم بعد ذلك لتعزيزهم السياسى

Encyclopedia Britannica, vol. I 1976 p. 369

انشاء الزوايا وهى مراكز اجتماعية ودينية اصلاحية وعلمية ومراكز للحكم والادارة وللزراعة والتجارة وللاعداد العسكرى الذى استطاعت السنوسية بفضلها أن تقاوم الاستعمار وتخوض المعارك الضارية ضد الاستعمار الايطالى فى برقة[٢٨] .

وامتد أثر دعوة الامام الشيخ محمد بن عبد الوهاب الى السودان ففى غرب السودان ، كان الداعية الشيخ عثمان بن فودى من اتباع الشيخ يحارب البدع الشائعة فى عشيرته ويعمل على تقويض بقايا الوثنية ، وقام بسلسلة من المعارك ضد قبائل الحوصة الوثنية واقام دولة « سوكوتو » فى السودان على أساس من مبادىء دعوة الامام وامتدت حدودها الى جميع الاقطار الممتدة من تمبكتو الى بحيرة تشاد[٢٩] .

أما فى شمال السودان فظهرت الدعوة المهدية التى أسسها محمد أحمد بن عبد الله وبدأت الدعوة سرا فى جزيرة « أبا » ثم جهر بدعوته وطالب من رجال الدين نصرة المهدية والرجوع الى الكتاب والسنة والعمل بها وكان حريصا على تحرير بلاده من الاستعمار ورفع مستوى السودان الاقتصادى والاجتماعى وبناء مجتمع اسلامى قام على التعاليم التى اقامت المجتمع الاسلامى الأول .

وامتدت آثار دعوة الامام الشيخ محمد بن عبد الوهاب الى الشيخ محمد عبده ومدرسته السلفيه التى قامت على محاربة البدع وما دخل على العقيدة الاسلامية من فساد وفتح باب الاجتهاد واقام مدرسة فكرية دينية وعلمية وتربوية تتجه لمقاومة الاستعمار نفسه والاهتمام باصلاح اللغة العربية .

وهكذا نرى أن دعوة الامام الشيخ محمد بن عبد الوهاب وحركته الاحيائية التى بدأت فى شبه الجزيرة العربية وكان هدفها هو تنقية الاسلام من الشوائب الدخيلة والعودة به الى وضعه ايام الخلفاء الراشدين وكانت أهم مبادئها القضاء على الشرك والدعوة الى التوحيد . هذه الدعوة تترك اكبر الأثر كدعوة سلفية اصلاحية وتوحيدية وكحركة احيائية للدين الاسلامى فى قارتى آسيا وافريقيا بل استطاعت أن توقظ المسلمين وتزكى فيهم روح الجهاد لتحرير اوطانهم من الاستعمار .

(٥)

فى ختام دراستنا عن الامام الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوته نحدد اوجه الشبه والاختلاف بين الحركة الدينية التى قام بها الامام الشيخ وبين الحركات الاحيائية الدينية بمفهومها الاجتماعى .

فنجد أن أساس قيام الحركات الاحيائيه الدينية **هو الجهد المنظم الواعى والأخذ من الماضى وعرض قيم جديدة** . وكما أوضحت من قبل فإن ما قام به الامام الشيخ بعد جهد منظما واعيا فاعتمد الشيخ على دراسته للقرآن الكريم وحفظه وعلى دراسة كتب الفقه وطالع كتب التفسير والحديث ثم انتقل بين العلماء وقام بالاسفار والرحلات واخذ عن علماء السلف وخاصة الامام ابن تيمية وبذلك فانه قد توفر أحد الشروط الهامة التى تنطبق على قادة الحركات الاحيائية الدينية وهذا الشرط قائم على توفر الجهد المنظم الواعى للقائد الدينى الذى يقوم بالحركة الاحيائية وأيضا اعتماد القائد الدينى على الدين وعلى الماضى وعلى العصور الذهبية التى مرت بالدين الاسلامى وقام الامام الشيخ بعرض القيم الاسلامية الاصيلة التى كادت أن تندثر لولا ما قام به من جهد خارق يفوق الوصف وصدق رسول الله « القائل » أن الله يبعث على رأس كل قرن من يجدد لهذه الامة أمر دينها فهذا الامام الشيخ محمد بن عبد الوهاب يجدد للامة الاسلامية أمر دينها .

والدليل الآخر على الجهد الواعى المنظم للقائد الدينى الشيخ الامام محمد بن عبد الوهاب هو اتفاقه مع الأمير الامام محمد بن سعود على نصرة دعوة « لا إله الا الله » ويشترك الاثنان معا فى القيام بالغزوات المنظمة وتنطلق الحركة الدينية الاحيائية من الدرعية وقد تسلحت بالقدرات المعنوية القوية المتمثلة فى قوة الامام الشيخ واتباعه كما تسلحت بالقدرات العسكرية متمثلة فى قوة الامير الامام محمد بن سعود وجيشه . ويتفرغ الامام الشيخ بعد ذلك لامور الدعوة ويترك أمر الجهاد للامام محمد بن سعود وابنائه .

ومن المحكات الاجتماعية التى وضعها علماء علم الانسان للحكم بها على الحركات الاحيائية الدينية نجد **الصفات الشخصية للقائمين بأمر هذه الحركات** وفى دراستنا نجد أن الأمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب يتميز بصفات خاصة وقدرة على التعبير والاقناع وقوة خاصة ملهمة يسميها الاجتماعيون « الصفات الكارزمية » هذه الصفات كلها تمتع بها الامام الشيخ واستطاع بهذه الصفات الخاصة أن يجذب اليه الاتباع وبقوة حجته وقدرته على الاقناع أن يزيد من عددهم وأن يطلق حماسهم من أجل الدفاع عن الدعوة والتصدى لاعدائها .

ومن الأسس الاجتماعية الاخرى التى نستخلصها من دراسة الحركات الاحيائية الدينية نجد أن كثيرا ما **تعرض القائمون بهذه الحركات الاجتماعية الدينية للاضطهاد وتشويه دعوتهم** ونستطيع أيضا أن نستنتج ذلك من دراستنا لما حدث للامام الشيخ محمد بن عبد الوهاب فقد تعرض للأذى والصنوف من الآلام والاستهزاء والسخرية من مدعى العلم ومن رؤساء البلدان وعبيدهم كما تعرض للاضطهاد من الدولة العثمانية وان دعوته نفسها تعرضت الى تشويه صورتها بين المسلمين على أساس انها خارجة عن الدين الاسلامى وايضا الى كثير من الشبهات والافتراءات التى اثيرت حولها ونذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ، شبهة ان الامام الشيخ ادعى النبوة ، وشبهه انه ادعى الاجتهاد المطلق ، وشبهه ادعاء أنه واتباعه من الخوارج ، وشبهه اتهام الشيخ بأنه يكفر الناس ، وشبهه كراهة الصلاة على النبى ﷺ وشبهه انكار شفاعة الرسول ﷺ وشبهه ان الحركة مذهب جديد أطلق عليه اعداء الدعوة « بالمذهب الوهابى » وقد دافع الامام الشيخ محمد بن عبد الوهاب عن نفسه بالآية الكريمة « سبحنك هذا بهتن عظيم » كما دافع عن الامام الشيخ وعن حركته كثير من الباحثين والدارسين المنصفين منهم الكاتب الامريكى لوثروب ستودارد فى كتابه حاضر العالم الاسلامى والمؤرخ المصرى عبد الرحمن الجبرتى فى تاريخه عن حوادث عام ١٢١٧ هـ وغيرهم .

أما بالنسبة للحركات الاحيائية الدينية فقد حدد علماء علم الانسان مراحل

ثلاثة تمر بها أى حركة احيائية **وهى مرحلة ما قبل ظهور الحركة والتى نجد فيها ان الاوضاع الاجتماعية والثقافية والجو الاجتماعى والثقافى** غير المناسب وبالقياس أيضا على ما أوضحناه من مناخ اجتماعى عاش فيه الامام الشيخ محمد بن عبد الوهاب نجد أنه كان مناخا غير سليم فالعبادة لا تقدم الى الله بل لغير الله والشرك بالله وعبادة الاوثان كل ذلك دفع الامام الشيخ للثورة على هذ الوضع الاجتماعى غير المناسب وبث دعوته التوحيدية بين الناس ودعاهم الى العودة الى عبادة الله الواحد وعلمهم التوحيد وبذل قصارى جهده فى هذه المرحلة الأولى معتمدا على اساليب الاقناع والقوى الخمس .

ثم فى المرحلة الثانية من **الحركات الاحيائية الدينية نجد أن قادتها يشكلون الحركة ويضعون القواعد المنظمة لها** وعند تطبيق ذلك والقياس على حركة الامام الشيخ محمد بن عبد الوهاب نجدها تتوافق مع مرحلة استقرار الامام الشيخ فى الدرعية وتعاهده مع اميرها الامام محمد بن سعود وقيامه بوضع القواعد المنظمة للحركة ووضع كثير من المؤلفات التى بلغت ثمانية عشر مؤلفا منها : كشف الشبهات ، والتوحيد ، وكتاب الكبائر ، وأصول الايمان وتفسير القرآن وغيرها .

أما المرحلة الثالثة من وجهة نظر علماء علم الانسان التى تمر بها الحركة الاحيائية الدينية فإنها **مرحلة الانتصار للحركة ووضعها** لقواعد تمطية لها ونجد من دراستنا أن حركة الامام الشيخ محمد بن عبد الوهاب الاحيائية قدر الله لها النصر على اعدائها واستطاعت أن تنشر مبادئها فى كل شبه الجزيرة العربية ورفعت رايات التوحيد عالية .

وقد يختلف علماء الاجتماع وعلى رأسهم بوتنجهام Nottingham الذين درسوا الحركات الدينية فى تحديد المقومات الاساسية للمراحل الثلاثة . **ففى المرحلة الأولى نجد مرحلة تكوين الجماعات الاولية** وهذه المرحلة مرت بها أيضا حركة الامام الشيخ محمد بن عبد الوهاب الاحيائية ففى بداية الحركة كون الامام جماعات صغيرة من الاتباع الذين صدقوا دعوته وكان ايمانهم — بعد تمامهم

بالله ـــ بعبادته قويا وكانت هذه المرحلة هى مرحلة امتثال للتعاليم الدينية والسلوك الدينى الذى حدده ووضعه الامام الشيخ لاتباعه .

أما بالنسبة للمرحلة الثانية فيرى علماء الاجتماع أن خلفاء مؤسسى الحركة هم الذين يقودون الحركة من بعده ويضعون التفسيرات والشروح المختلفة .

وهذا ما نجده فبعد وفاة الامام الشيخ محمد بن عبد الوهاب يتولى ابناؤه وابناء الامير محمد بن سعود أمر الدعوة ويتكاتف الجميع فى شرح الدعوة وتوضيح أهدافها ومراسلة الامراء .

ثم تأتى المرحلة الثالثة وهى مرحلة التوسع والانتشار والتفرع وبهذا تصبح الحركة اكثر تماسكا . وبتحليلنا لدعوة الامام الشيخ محمد بن عبد الوهاب وحركته الاحيائية وتأثيرها فى الدعوات الاسلامية الأخرى نجد أن الدعوة محل الدراسة مرت بهذه المرحلة بالفعل عندما التقى اتباع الحركة بالمسلمين الذين كانوا يؤدون مناسك الحج ونشروا بينهم مبادىء الدعوة ثم قام هؤلاء باعادة نشر الدعوة مرة ثانية فى اقطارهم سواء فى الهند أو فى البنجاب أو فى سومطرة أو فى المغرب والجزائر وليبيا والسودان ومصر وغيرها كما أوضحنا فى هذه الدراسة من قبل .

أما بالنسبة لدراسة الاسباب التى تؤدى الى ظهور الحركات الاحيائية فقد حدد علماء علم الانسان أربعة نظريات رئيسية سبق أن تناولناها بايجاز عند الحديث عن الحركات الاحيائية ونستخلص فى دراستنا هذه أنه يمكن أن تنطبق احدى هذه النظريات على حركة الامام الشيخ محمد بن عبد الوهاب **فالنظرية القائلة بأن أسباب ظهور الحركات الاحيائية ترجع الى رفض ونبذ الثقافة القائمة بالفعل نتيجة لانها لا تتفق مع الدين** ، هذه النظرية هى أقرب النظريات التى يمكن أن تنطبق على حركة الامام الشيخ فقد قامت الحركة لرفض ونبذ ثقافة كانت قائمة على البدع والخرافات المتمثلة فى عبادة القبور والاستعانة بغير الله وانقاذ الناس من اساليب الجهالة التى أخذت تتفشى فى المجتمع الاسلامى وإعادة احياء الدين الاسلامى الحنيف والعودة الى ايام الخلفاء الراشدين ، وكانت لسياحات

الامام الشيخ واسفاره واحتكاكه المثقافي ببعض العلماء الذين تعلم على ايديهم وقراءته لكتب الفقه والتفسير والحديث اكبر الاثر في بلورة اهداف حركته الاحيائية الدينية .

الخاتمـــة

بعد ان استعرضنا أوجه التشابه والاختلاف بين حركة الامام الشيخ محمد بن عبد الوهاب وبين الحركات الاحيائية الدينية بمفهومها الاجتماعي ، وفي ضوء ما قدمنا ، بالنسبة للمناخ الاجتماعي والثقافي في حياة الامام الشيخ وما برزناه في حركته الاحيائية الدينية وأهدافها وأثرها في الحركات الاحيائية الاصلاحية الاسلامية الاخرى كالسنوسية والمهدية وغيرها نستطيع أن نثبت صحة الحقيقة العلمية التي توصلنا اليها وهي « **ان ما قام به الامام الشيخ محمد بن عبد الوهاب يعد بكل المقاييس العلمية والمحكات الاجتماعية حركة اجتماعية دينية احيائية قصد بها احياء الدين الاسلامي الحنيف والعودة مرة أخرى الى حياة السلف الصالح** » .

الهوامش وأهم المراجع

١ ـــ فاروق مصطفى ، دراسة للعادات والتقاليد الشعبية فى مصر ، ١٩٨١ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ص ٢٢٨ .

٢ ـــ فاروق مصطفى ، البناء الاجتماعى لجماعة دينية فى مصر ، دراسة فى الانثروبولوجيا الاجتماعية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠ ، ص ١٠ .

٣ ـــ Norbeck, E., Religion in Human Life. Anthropological Views Holt Rinehart and Winston Inc. N.Y., 1974 p. 55

٤ ـــ معجم العلوم الاجتماعية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٠ م ، ص ٢٢٨ .

٥ ـــ Wallace, A., "Revetalization Movements" American Anthropologist, New Series, 1956-58, pp. 261-281.

٦ ـــ Wallace, A., "Nativism and Reviivalism" In E.S.S. vol. 11 p. 57.

٧ ـــ Linton, R. "Nativistic Movements" in Reader in Compartive Religion: An Anthropological Approach 2nd ed. by A. Lessa and Evanz vol. eds. N.J. Harper 1965. pp. 499-566.

٨ ـــ Wallace, A., Op. cit. pp. 75-80.

٩ ـــ Haviland, A., William, Cultural Anthropology Holt Rinehart and Winston, Inc. N.Y. 1975, p. 325

١٠ ـــ الجماعة الأولية هى مجموعة من الأفراد تقوم بينهم علاقات أساسها التفاعل يطلق عليها مصطلح الجماعة الاجتماعية وتعتمد على علاقات المواجهة وهذه الجماعات تحقق التضامن وتحافظ على المعايير الأخلاقية وتقوى هذه المعايير وتعمل على ثبات المجتمع الانسانى وتعتبر الأسرة جماعة أولية رئيسية

بالإضافة الى وجود جماعات أولية أيضا تتضمن جماعة العمل وجماعة الاخوة المدرسية وجماعة النادى .... الخ .

Mitchell Y.D., A dictionary of Sociology Routledg & Kegan Paul, London, 1968, p. 86.

١١ــ محمد أحمد بيومى ، علم الاجتماع الدينى ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨١ ، ص ٣٨٧ .

١٢ــ فاروق مصطفى ، دراسة لتعادات والتقاليد الشعبية ، مرجع سابق ، ص ٢٢٩ــ٢٣٠ .

١٣ــ محمد أحمد بيومى ، مرجع سابق ، ص ٣٨٦ ، وراجع أيضا :

Shils E., "CHARISM" I.E. S.S. vol. I, pp. 386-390.

١٤ــ محمد عاطف غيث ، قاموس علم الاجتماع ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٢ م ، القاهرة ، ص ٣٢ .

١٥ــ عثمان عبد الله بن بشر ، عنوان المجلد فى تاريخ نجد ، جـ ١ ، جـ ٢ ، مطبعة بيروت ١٣٨٧ هـ ، ص ١٦ــ٢٤ .

وراجع أيضا : ابن غنام الاحسار ، روضة الافكار والافهام لمرتاد حال الامام وتعداد غزوات ذوى الاسلام ، حققه ناصر الدين الاسد ، مطبعة المدنى ، القاهرة ١٣٨١ هـ/١٩٦١ م .

١٦ــ مصطلح مماثله Analogy يستخدم فى دراسات علم الانسان وعلم الطبيعة ويقصد به ضرب من التشابه بين شيئين متميزين ففى علم الأحياء يطلق على الأشياء التى تؤدى وظيفة واحدة وإن اختلف اصلها . وفى اللغة يقال أن لفظين متماثلين إذ أديا معنيين مختلفين فى شىء من التشابه . وفى علم الانسان (الانثروبولوجيا) والعلوم الاجتماعية يستخدم هذا المصطلح للدلالة على تطورين متوازيين فى مجتمعين مختلفين . وهذا هو التوازن الثقافى أو للدلالة على تشابه موقفين أو تناظرهما .

انظر : حسن سعفان ، معجم العلوم الاجتماعية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٥ م ، ص ٥٦٥ .

احمد عبد العطار ، محمد بن عبد الوهاب ، الطبعة الثانية ، منشورات مكتبة العرفان ببيروت ، ١٣٢٢ هـ/١٩٧٩ م ، ص ١٥٢ــ١٥٨ .

١٧ــ احمد الخشاب ، علم الاجتماع الديني ، مفاهيمه النظرية وتطبيقاته العملية ، مكتبة القاهرة الحديثة ، ١٩٧٠ م ، ص ٣٥٩ .

١٨ــ حسين بن غنام ، تاريخ نجد ، مرجع سابق ص ٢١٥ .

١٩ــ عبد الرحمن عميرة ، «الشبهات التي اثيرت حول دعوة الامام محمد بن عبد الوهاب» ، بحوث اسبوع الشيخ محمد عبد الوهاب ، جـ ٢ ، جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ، ١٤٠٣ هـ/١٩٨٣ م ، ص ٤٢ .

٢٠ــ د. وهبه الزحيلي ، «تأثر الدعوات الاصلاحية الاسلامية بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب» ، بحوث اسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، مرجع سابق ، ص ٣٠٣ .

٢١ــ عبد الفتاح الغنيمي ، «أثر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في غرب افريقيا» ، بحوث اسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، مرجع سابق ، ص ٣٤٦ .

٢٢ــ أحمد الخشاب ، مرجع سابق ، ص ٣٦٥ــ٣٦٦ .

٢٣ــ د. محمد جميل غازي ، مجدد القرن الثاني عشر الهجري شيخ الاسلام الامام محمد بن عبد الوهاب ، مطبعة المدني ، القاهرة (بدون تاريخ) ، ص ٦٥ــ٦٧ .

٢٤ــ عبد الرحمن بن سليمان الرميشد ، الوهابية حركة الفكر والدولة الاسلامية ، القاهرة ١٣٩٨ هـ/١٩٧٨ م ، ص ٣٠ .

٢٥ــ لوثروب ستودارد ، حاضر العالم الاسلامى ، الترجمة العربية ، الطبعة الرابعة ، ١٣٩٤ هـ/١٩٧٣ م ، دار الفكر ، بيروت ، ص ٢٦٤ .

٢٦ــ مصطفى مسعد ، «أثر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب فى حركة عثمان بن فودى الاصلاحية فى غرب افريقيا» ، اسبوع بحوث الشيخ ، مرجع سابق ، ص ٤٢٦ــ٤٢٧ . وراجع أيضا : الغزوات فى كتاب تاريخ نجد ، ص ٨٩ــ٢٠٦ .

٢٧ــ د. وهبه الزحيلى ، مرجع سابق ، ص ٣٢٣ .

٢٨ــ راجع فى ذلك :

Evans-Pritchard, E.E., The Sanusi of Cyranca, O.U.P. London 1968.

ووصف المؤلف الزوايا السنوسية وجوانب الحياة اليومية داخلها والحرب التى خاضتها الحركة السنوسية مع الاستعمار الايطالى خلال الفترة من سنة ١٩١١ الى سنة ١٩٣٢ م .

٢٩ــ مصطفى مسعد ، مرجع سابق ، ص ٤٢٨ ، وما بعدها .